المحاضرة الثانية: الكتابة التاريخية وتطورها عند المسلمين

لقد كان التاريخ قديما يفهم على انه سرد للروايات والأساطير في مختلف الجلسات وشاع هذا المفهوم في العصر اليوناني والروماني، ثم ارتقى بعد ذلك إلى تسجيل الحوادث والأخبار ورصد سير العظماء، ثم أصبح يتتبع حركة تطور الشعوب وارتقائها من شعوب بدائية إلى شعوب متحضرة تملك حضارة راقية في مختلف نواحي الحياة.

وقد عرف المسلمون التاريخ كنظام تعليمي عملوا على تدريسه ضمن العلوم الأخرى ولهذا فالتاريخ يعد علم إنساني لا يقبل الخيال[1].

وقبل ذلك وبمجرد ظهور الإسلام ارتكزت الكتابة التاريخية على تدوين القران الكريم واكتفوا به، لأنه مثل بالنسبة لهم حدثا عظيما، ثم انتقل التدوين إلى بدايات التاريخ العلمي العربي الأصيل عندما بدا المسلمون يدونون أخبار الكريم وأعماله أي تدوين السنة النبوية الشريفة؛ إذ قام الصحابة في عهد الخلفاء الراشدين بنقل أخبار الرسول (ص) وكل ما يخص أحاديثه ومغازيه وأعماله إلى الأجيال القادمة من المسلمين وظهر ما يسمى بالرواة خاصة في المدينة المنورة؛ أمثال عبد الله بن عمر[2]، وعبد الله بن العباس وغيرهم.

وقد شهدت هذه الفترة كثرة الانشقاقات أثناء حروب الردة وخلال الصراعات حول الخلافة واستشهد بعض الصحابة وانتشر بعضهم الآخر في الأمصار نتيجة الفتوح الأمر الذي أدى بعمر بن الخطاب إلى النهي عن تدوين الحديث في هذه المرحلة خوفا من أن يختلط بالقرآن. وعلى الرغم من ذلك يبدو أن بعض الصحابة لم ينتهو عن ذلك، ولكن فضلوا الاستمرار في التدوين.

3-1- عوامل تطور الكتابة التاريخية عند المسلمين:

لقد تأثرت الكتابة التاريخية عند المسلمين بالعديد من العوامل التي ساهمت في تطورها، لعل أهمها:

أ- ظهور مجموعة من العلماء الأجلاء؛ أمثال الطبري الإمام الخليل الذي كان مصدرا أصيلا نقل عنه الكثير من العلماء الإجلاء ؛ أمثال المسعودي، ابن الأثير، ابن مسكويه، الذهبي، ابن خلدون...الخ.

ب- تشجيع العلماء من طرف الخلفاء والحكام.

---

[1] واضح مدني، "أهمية المصادر التاريخية عند المؤرخ"، *مجلة القرطاس*، المجلد 6، عدد 2 (01-01-2018)، ص 150. متوفر على الموقع: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/69704 (تاريخ الزيارة 04-04-2020).

[2] عبد الله بن عمر هو ابن عمر بن الخطاب وقد نشأ في الإسلام وعاش معظم حياته في المدينة توفي في مكة عام 73 هـ-692 م و هو من رواة الحديث الأولين.

ج- الفتوحات الإسلامية ودورها في الانفتاح على الشعوب الأخرى، إذ سمحت للمؤرخين بالاستطلاع على المدونات التاريخية لهم[3].

د- حركة الترجمة عن اللغات الأجنبية كالفارسية واليونانية مثلا.

هـ- تطور تقنيات الكتابة وتوفر وسائلها كالورق، هذا علاوة على النهضة الفكرية التي شهدها العهد العباسي مما ساهم في نمو العلوم والمعارف التي ساعدت بدورها على تطور علم التاريخ، الجغرافيا، الفلك، علوم اللغة...الخ. كما ساهم ارتفاع عدد الحلقات التعليمية في المساجد والمدارس والكتاتيب والنشاط الذي عرفته المؤسسات التعليمية الكبرى كبيت الحكمة في بغداد[4].

ولكن الجدير بالذكر أن المسلمين رغم انشغالهم في بداية الأمر بالتدوين لتوطيد العقيدة الإسلامية، إلا أنهم عادوا بعد استقرار الإسلام إلى جمع أخبار الماضي فيما يتعلق بماضيهم في الجاهلية[5].

و- ظاهرة ترحال طلبة العلم إلى مختلف الأصقاع من ديار الإسلام للتحقق من الروايا و أخذها عن مصادرها الأولى[6].

والجدير بالذكر أيضا أن منهج الكتابة التاريخية عند المسلمين ومنهج علم الحديث كلامهما في البداية " اعتمد كذلك على الإسناد (أي إسناد الأحاديث النبوية المروية إلى رواتها)، وطريقة ضبط الإسناد لجهة لمعرفة صدق الراوي هما من أهم الإنجازات المنهجية التي شهد طرائق المعرفة التاريخية"[7]. فالأحاديث ارتبطت ارتباطا وثيقا بنشأة التدوين التاريخي عند المسلمين، فلقد مهد علم الحديث بالتأكيد لنشأة علم التاريخ عند المسلمين وأدت دراسة علم الحديث بذلك إلى الدراسات التاريخية[8].

ولكن ومنذ بداية القرن الثالث هجري وحتى أوائل القرن الرابع هجري بدأ التدوين التاريخي يستقل عن العلوم الإسلامية وأصبحت بذلك الكتابة التاريخية علما قائما بذاته ساهم وبشكل كبير في خدمة الدولة الإسلامية من خلال التدوين والتعريف بها[9].

3-2- أصناف الكتابة التاريخية عند المسلمين:

---

[3] حسان حلاق، *مقدمة في منهج البحث التاريخي* (بيروت: دار النهضة العربية، 1986)، ص ص 50-51.

[4] محمد عبد الكريم الوافي، المرجع السابق، ص 193.

[5] المرجع نفسه، ص 232.

[6] المرجع نفسه.

[7] وجيه كوثراني، *تاريخ التأريخ (اتجاهات- مدارس- مناهج)*، ط2 (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013، ص 81.

[8] محمد عبد الكريم الوافي، المرجع السابق، ص 211.

[9] المرجع نفسه، ص ص 232-248.

جمعت الروايات التي كانت مبعثرة وتطورت الكتابة التاريخية واتجه العلماء لدراسة التاريخ والتأليف فيه واعتبر عندها من أهم العلوم عند المسلمين، وأصبح لهذا العلم متخصصون وتوسع الاهتمام به، وتنوعت أصناف المادة التاريخية وموضوعاتها من تاريخ سياسي إلى تاريخ خاص وعام. ويمكن تصنيف ما دونه المؤرخون المسلمون إلى ما يلي[10]:

أ- كتب السيرة: ويقصد بها السيرة النبوية، حيث انه بعد وفاة الرسول (ص) أدى حرص المسلمين على معرفة أخبار سيدنا محمد إلى تدوين سيرته العطرة التي أبهرت العرب والمسلمين وحاولوا الاقتداء بها، والاعتماد عليها كسند للتشريع في سلوك حياتهم اليومية وتنافسوا على ذلك.

وكان معظم كتاب السيرة الأولين من أهل المدينة وقد اعتمد المدونين على أسلوب الإسناد[11]. ولعل أقدم من كتب في السيرة النبوية عروة بن الزبير بن العوام، وشرحبيل بن سعد، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم، وعاصم بن عمرو بن قتادة والواقدي، ومحمد بن إسحاق[12] والذي لخص سيرته بن هشام، والذي يعتبر ملخصه أول مصدر يعتمد عليه في معرفة سيرة الرسول (ص).

كذلك نجد السيرة النبوية في كتاب" الشمائل النبوية" للإمام الترمذي و" مختصر الشمائل النبوية " للإمام البيهقي وكذا مؤلفي "تاريخ بيت الله الحرام" أو "تاريخ مكة المكرمة" و"تاريخ مهاجرة المدينة المنورة" لابن زبالة ومؤلفي " جامع الآثار في مولد النبي المختار" و"مورد الصادي في مولد الهادي" للإمام الحافظ محمد أبي بكر عبد الله القيسي الدمشقي[13]. كما نجد ابن سيد الناس العمري (734 هـ) وكتابه "عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل و السير" وما أورده الطبرى (ت 310 هـ) من سيرة في جزء من كتابه "تاريخ الطبرى" و كذلك ما أورده ابن الأثير (ت 630) في كامله[14].

ب- التراجم: وتعني سيرة الصحابة والخلفاء والقادة والعلماء والفقهاء والمحدثين وغيرهم، وهي شبيهة بكتب الطبقات، إلا أنها تقتصر على فئة معينة، وهي كذلك نوع من الأنواع الأدبية

---

[10] أكرم ضياء العمري، *التراجم والسير* (الرياض: مكتبة العكيبات، 1995)، ص28.

[11] محمد قسم السيد محمد البليلة، "اثر السيرة في إثراء المسيرة الفكرية للتاريخ عند المسلمين"، *مجلة جامعة شندي*، العدد 9 (يوليو 2010)، ص 44. متاح على الموقع:
http://repository.ush.sd:8080/xmlui/bitstream/handle/123456789/285/%d8%a7%d8%ab%d8%b1%20%d8%a7%d9%84%d8%b3%d9%8a%d8%b1%d8%a9.pdf?sequence=1&isAllowed=y (تاريخ الاطلاع 05-2-2021)

[12] السيد عبد العزيز سالم، *التاريخ والمؤرخون العرب* (بيروت: دار النهضة العربية، 1986)، ص 55.

[13] شعلال سماعيل، "الكتابة التاريخية عند الفرق الإسلامية بين القرنين الأول والسابع الهجريين (7-13 م)" (أطروحة لنيل شهادة علوم، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2020-2021)، ص ص 122،132.

[14] أكرم ضياء العمري، المرجع السابق، ص 28.

التي تعرف شخص أو أكثر[15]. وقد ظهرت من بدايات التدوين في التاريخ الإسلامي، واحتلت مرتبة رفيعة.

ولعل من أهم مؤلفات كتب التراجم؛ "تاريخ فتوح مصر والمغرب" لابن الحكم(ت 257هـ) و "ولاة مصر وقضاتها" للكندي المتوفى قي عام 350 هـ، " تاريخ بغداد وأعلامها" لصاحبه الطيب االبغدادي المتوفى علم 463 هـ.

ج- كتب المغازي والفتوح: وهي التي تتحدث عن سرايا الرسول (ص) وغزواته وعن مختلف الفتوحات الإسلامية التي كانت مصدر اعتزاز بالنسبة للمسلمين[16]، وكان مركز هذه الحركة لدراسة المغازي في المدينة باعتبارها دار الرسول (ص) ودار السنة التي عاش فيها الصحابة وسمعوا أحاديث الرسول (ص) ورووهم بدورها إلى التابعين[17]، وممن كتب في المغازي؛ عروة بن الزبير، عبد الله بن أبي بكر بن حزم الأنصاري وغيرهم[18].

أما الفتوح فيقصد بها تلك الكتابات التي اختصت بفتوح منطقة معينة وأهم من كتب فيها الواقدي، والبلاذري في كتابه فتوح البلدان وغيرهم كثيرون[19].

د- كتب الطبقات والتراجم: ويقصد بها تلك الكتب التي تعني بتدوين أخبار وسير النخبة من الناس والوقوف على تأثيرهم على الآخرين، وكان أهم هؤلاء الصحابة الذين استهل بهم المؤرخين كتب التراجم والطبقات، ثم انتقل المهتمين بهذا النوع من التدوين إلى التطرق إلى سير الشعراء والأدباء والمحدثين....الخ وكان الاعتماد في الأساس على سنة الوفاة في تدوين هذا النوع من الكتب[20]، وبالتالي شكلت جزء مهم من المؤلفات التاريخية.

ولعل أهم الكتب في هذا المضمار كتاب "طبقات الشعراء"" لإسماعيل بن أبي محمد، و كتاب " طبقات الصحابة التابعين" لمحمد بن سعد بن منيع، وكتاب " طبقات الهمذانيين" لصاحبه أبي الفضل صالح بن احمد الهمذاني[21]، وغيرها الكثير من الكتب في هذا المجال من الكتابة التاريخية عند المسلمين والتي احتلت مكانة مرموقة في التاريخ الإسلامي.

هـ- كتب تاريخ البلدان:

---

[15] محمد عبد الغني حسن، *التراجم والسير* (مصر: دار المعارف، 1955) ص 9 وما بعدها.

[16] عبد العزيز الدوري، *نشأة علم التاريخ عند العرب* (الإمارات العربية المتحدة: مركز زايد للتراث والتاريخ، 2000)، ص 22.

[17] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 54.

[18] عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 24 وما بعدها.

[19] محمد قسم السيد محمد البليلة، المرجع السابق، ص 49.

[20] عوض الذنيبات، "أهمية كتاب (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي في التعريف بالمصنفات التاريخية التي ألفها ورواها علماء بغداد و الذين وفدوا إليها"، *المنارة*، المجلد 20، العدد 4، جامعة مؤته، (31-12-2014)، ص 188.

[21] المرجع نفسه، ص 191.

هي الكتب التي تبحث في تاريخ مدينة أو إقليم من بداية النشأة حتى فترة من أرخ له و تذكر أسماء أعلامها ومن نشأ فيها ومن زارها. وهو موضوع مهم له علاقة بالتاريخ هو علم البلدان. ولعل أهم العرب الذين كتبوا في هذا المجال[22]:

- البلاذري: فتوح البلدان توفي عام 913 م
- اليعقوبي: كتاب البلدان توفي عام 879 م
- الهمداني: كتاب الإكليل وكتاب صفة جزيرة العرب توفي عام945 م
- البيروني: الآثار الباقية توفي عام 1048 م
- ياقوت الحموي : معجم البلدان توفي عام1229 م.

[22] كمال حيدر، المرجع السابق، ص 110